مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 13 عدد: 2، يونيو 2024
ص: 29 - 40 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

استدعاء التراث وتوظيفه في ديوان "من أغاني الطاسيلي" للشاعر مبروك بالنوي

Evoking Heritage and Using it in a Collection of Poems: From the Songs of the Tassili by Mabrouk Bannaoui

خناش صفاء[1] / حفيدي أحمد[2]

Khettache Safa[1] / Hafidi Ahmed[2]

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

جامعة تامنغست (الجزائر)

University of Tamanghasset (Algeria)

khettache.safa@univ-tam.dz[1] / hafidiahmed145@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2024/03/21	تاريخ القبول: 2024/04/10	تاريخ النشر: 2024/06/02

ملخص البحث

إن المتأمل في الشعر العربي المعاصر يجد علاقة ترابط أصيلة بين الشاعر وبيئته، ولذلك نجد العديد من الشعراء يجعلون من التراث عنصرا مركزيا أساسيا في بناء قصائدهم، وكثيرا ما يعملون على استدعاء الكثير من العناصر التراثية لاستعمالها في أعمالهم . ومن هذا فإن هذه الدراسة تسعى للكشف عن ظاهرة استدعاء وتوظيف تراث منطقة الهقار في شعر أحد شعراء منطقة تامنغست، وهو الشاعر مبروك بالنوي، وذلك من خلال الوقوف على واحد من اهم أعماله الإبداعية، والتي تتمثل في ديوانه المعنون بـ " من أغاني الطاسيلي "، حيث نعمل على أن تسلط الضوء على استدعاء التراث الهقاري المادي واللامادي الذي كان حاضرا ومجسدا في شعره، والذي كان يحاول من خلاله أن يعكس لنا مهارته الفنية في توظيف التراث، من جهة، ومن جهة ثانية اعطاء البعد الثقافي والحضاري والفكري الذي يرتبط ببيئته الهقارية التي يعيش فيها .

الكلمات المفتاحية: استدعاء التراث، الهقار، ديوان من أغاني الطاسيلي، مبروك بالنوي.

Abstract :

Any observer of modern Arabic poetry would find a connected relationship between the poet and his environment, and that's why we find many poets useheritage as a basic element in writing the ir poems. They usually work on recallingmany of the heritage elements in their works.

[1] خناش صفاء:khettache.safa@gmail.com

This study aims to reveal the cover on the phenomenon of recalling andinvoking the Touareg heritage in the work of one of Tamenrasset's poets, MabroukBannaoui, and that's by standing on and examining his most creative works, his collection "From the Tassili Songs." We work on shedding light on recalling the tangible and intangible heritage of the Hogar region that was represented In his poem. in his poems, Mabrouk Bannaoui tried to reflect his artistic skills by invoking the heritage from one side and giving a cultural, civilizational, and intellectual dimension that is related to his Hogar environment in which he lives from another side.

Keywords : Recalling the heritage ,The Hogar , From the Tassili Songs Collection, Mabrouk Bannaoui.

مقدمة:

يرتبط مصطلح التراث ـ أساسا ـ بالنبل والأصالة، فهو مصطلح يعبر عن كل ما تركه أسلافنا من آثار وأفكار سواء أكانت مادية او غير مادية، وللتراث بوصفه إرثا حضاريا وثقافيا له أهمية كبيرة في الأدب، فهو يعد مصدرا من مصادر الإلهام والإبداع، بحيث نجده يعكس القيم الانسانية في عصر من العصور السابقة، والأدب العربي بشتى اجناسه ينطبق عليه نفس الشيء فالعديد من الأعمال الأدبية العربية الشعرية والنثرية تلجأ للتراث لتستنبط منه العديد من الأفكار والقضايا وتوظفها في الحاضر كجزء من العمل الأدبي. وهو ما يعني أن هناك علاقة وطيدة بين الانسان والأدب والتراث .

ولقد تجلى هذا بصفة خاصة وبشكل كبير في الشعر العربي الحديث والمعاصر، بحيث نجد أن العديد من الشعراء العرب في العصر الحديث والمعاصر، اعتمدوا على التراث كمصدر من مصادرهم الفنية والمعرفية والجمالية. وأخذ استدعاء وتوظيف التراث في أعمالهم أشكالا وألوانا متعددة، كالاقتباس والتضمين، والتلميح، والرمز والإشارة .

ومن بين الشعراء الجزائريين المعاصرين الذين استدعوا ووظفوا التراث في أعمالهم الشعرية، هو الشاعر التيديكلتي مبروك بالنوي، الذي رجع للتراث واستدعى منه العديد من الرموز بمختلف أشكالها؛ الدينية والتاريخية والاجتماعية، ووظفها في أشعاره للتعبير عن محيطه الاجتماعي والسياسي، ولتشكيل العديد من الصور الشعرية التي تنبع من البيئة التي يعيش فيها . وهو الشيء الذي سنحاول أن نتطرق إليه من خلال

التطرق لطريقة الاستدعاء، وأشكال التوظيف التي وظف بها الشاعر رموز بيئته التراثية في قصائده الشعرية و تبيين أثر ذلك التوظيف والاستدعاء في شعره .

أولا: لمحة عن استدعاء وتوظيف التراث في الأعمال الشعرية العربية المعاصرة :

لقد كان استدعاء وتوظيف التراث عند الشعراء العرب كثيرا خصوصا في العصر الحديث والمعاصر والأمثلة كثيرة على ذلك، فالعديد من الشعراء العرب المعاصرين قد استغلوا التراث القديم ووظفوه في قصائدهم ودواوينهم الشعرية,

ومن أهم الشعراء العرب المحدثين والمعاصرين الذين استلهموا ووظفوا التراث في أشعارهم الشاعر والقاص المصري، صلاح عبد الصبور، الذي استدعى ووظف الكثير من الرموز التراثية في شعره، ومن ذلك التوظيف، نجده مثلا توظيفه لعنوان قصيدته :(مذكرات الصوفي بشر الحافي)، وهو عنوان مستلهم من شخصية تراثية صوفية هي: أبو نصر، بشر بن الحارث، الذي كان أحد الشخصيات الصوفية المشهورة، وكذلك قصيدته التي بعنوان (شنق زهران)، التي استدعى فيها شخصية تراثية مصرية مشهورة لرجل من صعيد مصر تم اعدامه من طرف المحتل الانجليزي يسمى:(زهران)، والتي وظفها ليبين ظلم المحتل الانجليزي للشعب المصري، فيقول في احد مقاطعها :

وضع النطع على السكة والغيلان جاءوا
وأتى السياف مسرور وأعداء الحياه
صنعوا الموت لأحباب الحياه
وتدلى رأس زهران الوديع
قريتي من يومها لم تأتدم إلا الدموع
قريتي من يومها تأوى إلى الركن الصديع[1]

كما نجد الشاعر المصري؛ أحمد شوقي أيضا قد استدعى التراث في بعض قصائده، فنجده في قصيدة (كبار الحوادث في نهر النيل)، التي حاول بها أحمد شوقي أن يؤرخ لمصر منذ عهد الفراعنة، إلى عهد محمد علي[2]، وهي قصيدة قد استدعى العديد من الشخصيات التراثية التاريخية وخصوصا تلك التي تتعلق بتاريخ مصر، مثل " رمسيس " الذي يعد من أعظم ملوك مصر وهو أحد ملوك الاسرة التاسعة عشرة المصرية، وكذلك "كليوباترا "، و " الاسكندر المقدوني "،و " بطليموس "، و" اكتافيوس قيصر " ... .[3] حيث نجده يقول في بعض أبياتها :

لبثت مصـــر في الظلام إلـــى ان قيل مـــــات الصـــباح والأضواء
من كرمســـيس في الملـــوك حديثا ولرمســـيس الملـــوك فـــــداء
وأرانا التـــــاريخ فرعـــون يمشـــي لم يحـــل دون بشـــره كبـرياء[4]

وكذلك نجد استدعاء التراث عند الشاعر العراقي، (بدر شاكر السياب)، الذي استدعى ووظف الكثير من التراث في شعره، فمثلا نجد توظيفه للشخصيتين الدينيتين (قابيل)، و(هابيل)، في قصيدته التي عنوانها : (تسديد الحساب)، حيث يقول فيها :

قابيل» بـــاقٍ، وإن صارت حجارته سيفًـــا، وإن عاد نارًا سيفه الخذِم
ورد «هـــابيل» ما قـــاضاه بارئه عـــن خلقـه، ثم ردت باسمه الأمم
واليـــوم، في حين وفَّى الـدينَ غارمُه إلا بقـــايا وكـــادت تخلص الذمم
وكاد يُرجـــع للـــــدنيا بشاشتها ما قربته الضحـــــايا وهي تبتسم
مشى على الأرض خلقٌ عاش في دمه من وحشها في المخاض الأول الضرم[5]

ثانيا: استدعاء وتوظيف التراث في ديوان من أغاني الطاسيلي

1: التعريف بالشاعر صاحب الديوان

الشاعر مبروك بالنوي، هو مبروك عبد النبي بالنوي الملقب بـ" الشاعر الصارخ " من مواليد 09 جويلية 1972 بمدينة صالح، إقليم التيديكلت، درس في المرحلة الابتدائية في ابتدائية بن خلدون ثم ابتدائية البشير الابراهيمي،ام الطور المتوسط فقد درسه بإكمالية الأمير عبد القادر (الملعب السابق)، والمرحلة الثانوية فدرس بعضها في متقن عبد الرحمن بن رستم بتمنراست، و ثانوية عين صالح بعين صالح، متحصل على عدة شهادات، بعضها شهادات جامعية، فقد تحصل على شهادة منشط الشباب في مجال الموسيقى من معهد الخروبة بالعاصمة، وشهادة محاسب من معهد التكوين المهني بتامنغست (خريج المعهد العالي لإطارات الشباب بورقلة)، متحصل على شهادة الماستر في الأدب العربي سنة 2023 .[6]

للشاعر رصيد شعري كبير يتجاوز المائتي (200) قصيدة، موزعة بين القصائد العمودية، وقصائد التفعيلة الفصيحة، والقصائد الشعبية، من أهم هذه القصائد : قصيدة (القضية ما انتهت)، و(قرن العنوسة) و(مليانة بعد 2000)، و (الكسوف)، و(من أغاني الطاسيلي)، و(من طواسين الجنوب). كما كان أحد الشعراء الذين انتجوا الديوان المشترك الذي عنوانه (من تباريح النخل. كما كتب مجموعة قصصية، بعنوان : (ازفة الحلم البياتي)، وهي مجموعة قصصية مخطوطة، وكذلك ملحمة بعنوان (خده تيديكلت)، وقصائد ملحنة للمجموعات الصوتية وشريط غنائي أنتج سنة 2000، صدر له أول ديوان شعري سنة 2017، عن دار النشر، دار الكتاب العربي، عرف بالقصائد الشعرية العمودية الطويلة التي يتجاوز بعضها 100 بيت شعري. حاز على عدة جوائز في عدة مناسبات.[7]

2: التعريف بديوان من أغاني الطاسيلي

يعد ديوان " من أغاني الطاسيلي " أول مؤلف صدر للشاعر مبروك بالنوي، وهو ديوان تم نشره عن طريق دار الكتاب العربي، وكانت طبعته الأولى سنة 2017، الديوان مكون من خمسة وتسعين (95) صفحة، ويحتوي على أربعة عشر (14) قصيدة متنوعة العناوين، أول قصيدة في هذا الديوان الشعري

للشاعر، كانت بعنوان :(تين هنان وخيام البدء)، وهي قصيدة طويلة نوعا ما وصل عدد ابياتها إلى ستين(60) بيتا " وهي قصيدة كتبها الشاعر غلى بحر الطويل الذي تفعيلاته :

فعولـــن مفاعيـلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعـــيلن فعولـــن مفاعيلن

وقد كان هذا البحر هو البحر الغالب في القصائد المكتوبة في الديوان، ونجد ان الشاعر مبروك بالنوي قد انتقى اغلب البحور في ديوانه بعناية، وقد كان للبحر الطويل حظ كبير في ذلك الانتقاء، لما له من مميزات حيث أنه من البحور التي يعتمد عليها الشعراء العذريين، وتفعيلاته الصوتية رقيقة على النفس وتلائم المكان الصحراوي، كما انه بحر واسع يتيح للشاعر توظيفه في اغلب الموضوعات التي تحتاج الى طول النفس كونه سخي النغم، ولهذا نجده بكثرة في الديوان وخصوصا في القصائد التي توظف التراث والأساطير، مثل قصيدة (الأمنوكال موسى اق مستان الملك المغيب) .

لم يقتصر الديوان على القصائد العمودية أو القصائد التي تعتمد على الشكل التقليدي او ما يسمى بالشعر العمودي فقط، بل ضم كذلك بعض القصائد التي تنتمي للشكل الحديث في الشعر وهي قصائد التفعيلة او ما يسمى بالشعر الحر ومن بين القصائد التي جاءت في الديوان على هذا الشكل قصيدة (تأويل الزمن الأخير).

تميزت قصائد الديوان سواء العمودية، او التي جاءت بالشعر الحر، بالتركيز على الوصف، والخيال الواسع كما استخدم فيها الالفاظ ذات الحروف اللينة، وأكثر فيها العطف والتكرار والاستعارات والتشبيهات.

ثالثا : تجليات استدعاء وتوظيف التراث في الديوان

يعتبر التراث من المقومات التي تتميز بها الامم والقوميات، وله علاقة واسعة بالحضارات الانسانية والثقافات المختلفة التي توجد في المجتمعات، كما ان له علاقة دقيقة بالهوية الوطنية، والعادات والتقاليد والأعراف الدينية والاجتماعية وله علاقة بالأصالة للمجتمعات، ولذلك نجد دائما الشعراء يوظفونه في أشعارهم ودواوينهم الشعرية لإبراز هوية مجتمعهم أو تجسيد انتمائهم الثقافي والحضاري .

والشاعر مبروك بالنوي من الشعراء الذين استدعوا ووظفوا التراث الذي ينتمون اليه في أشعارهم، وديوان: (من أغاني الطاسيلي) هو خير دليل على ذلك، بحيث نجد أن الشاعر في القصائد المكتوبة في هذا الديوان قد لجأ في أغلبها لاستدعاء وتوظيف التراث الذي ميز منطقة الطاسيلي كما جاء في عنوان ديوانه، حيث استدعى ووظف العديد من المكونات التراثية التي لها علاقة بالبيئة الهقارية، ولها علاقة بالموروث الشعبي التراثي الذي يتعلق بمجتمع الأهقار، سواء منه المادي الذي كان يتمثل في البيئة ومكوناتها المادية، أو اللامادي الذي يتمثل في العادات والتقاليد، والأعراف، والمعتقدات الدينية وغيرها .

1: تجليات استدعاء وتوظيف التراث المادي

لقد استدعى الشاعر مبروك بالنوي العديد من رموز التراث المادية في قصائده الموجودة في ديوان (من أغاني الطاسيلي)، وبالخصوص الرموز التراثية المادية التي لها علاقة ببيئته، أو البيئة الهقارية تحديدا

فعندما نقرأ تلك القصائد الموجودة في الديوان نجد الكثير من الأشياء المادية التراثية قد تم استدعائها وتوظيفها ومن الأمثلة على ذلك، (جبال الطاسيلي)، التي تعد من الأشياء التراثية في الهقار وهي جزء من التراث المكاني بمنطقة الأهقار، التي لها دلالة رمزية للمنطقة نجد أن الشاعر مبروك بالنوي قد وظفها، في قصيدته التي عنوانها (تين هنان وخيام البدء)، التي يقول في بعض أبياتها:

ضعي نقطـــة للبدء حيث مواجعي تجـــلى بها الانسان يرجو تعلما
مرايـا كهوف البـدء تسكنـني رؤى خصابـا والطاسـلي لـــها أنتمي [8]

فنجده يشير في البيت الثاني من هذين البيتين الذي وظف فيه كلمة(الطاسيلي) من قصيدة (تين هنان وخيام البدء) الى منطقة الطاسيلي كرمز من رموز الانتماء، وأحد أبرز مظاهر الارتباط والهوية، ويتضح ذلك في الشطر الثاني من البيت الثاني حينما صرح قائلا " الطاسيلي لها انتمى ".

ونجده كذلك يستدعى اسم الطاسيلي، ويوظفها في بيت آخر في نفس القصيدة، حيث يقول :

أيا حرة في الطاسـيلي قد تحصنت بأبلســة الغناء تسترفـد الحمى [9]

وفي نفس البيت نجد الشاعر يستدعي رمزا تراثيا مكانيا آخر، وهو منطقة (أبلسة) ؛ وهي إحدى بلديات ولاية تامنغست التاريخية العريقة والتي تعتبر من اهم مناطق الأهقار والتي تشتهر بأماكن أثرية مهمة.

أيضا من التراث المكاني الذي وظفه الشاعر مبروك بالنوي، هو(الضريح)، ضريح الملكة تين هنان الذي يقع فوق تل وادي أباليسا على ارتفاع 914 م، ويعد من أهم المعالم الاثرية الموجودة في منطقة الأهقار، ويبعد عن مقر ولاية تامنغست بحوالي ثمانين (80) كلم، وقد ذكره الشاعر في أحد ابيات قصيدته (تين هنان وخيام البدء)، حيث قال :

أيمـم وجهي للضـــريــح لعلني أطـيب بعطر البـدء عشقا مسـلما
و أحضن أسلافي بشوق مجنح بسر مقـــام البـوح لـــن يتكلما [10]

كذلك نجد من التراث المكاني الذي وظفه الشاعر في قصائده في الديوان، هو: (منطقة تيديكلت)، وهي من المناطق المهمة ولها تاريخ قديم زاخر جدا ومآثر تاريخية كبيرة "وهي تعني باللغة البربرية كف اليد أو اليد المفتوحة، وهي عبارة عن سهل يبدأ بانتهاء هضبة تادمايت "[11] " يحدها من الشرق هضبة تيغزت منطقة إيليزي، من الشمال العرق الشرقي الكبير ومنطقة حاسي مسعود، وشمالا منطقة المنيعة ومن الشمال الغربي العرق الغربي وتيميمون، وغربا بلاد التوات ورقان ومن الجنوب جبال اهنت ومرتفعات مويدير، " [12] وتبعد عن العاصمة حوالي 1278 كلم "[13]

وقد وظفها الشاعر مستغلا بعدها التاريخي ورمزيتها الحضارية في أحدى قصائد ديوانه، حيث يقول في أحد أبياتها :

أتيت تيـــدكلت السبية ترتجي أمانـا لقوم انـــكروك تبلدا [14]

وكذلك من الموروث المكاني الذي وظفه الشاعر في بعض قصائد ديوانه، منطقة (تيت)، والتي هي واحدة من أهم المناطق التاريخية، وقد اشتهرت بمعركة عنيفة بين الاحتلال الفرنسي والمقاومين سنة 1902، والتي ارتكب فيها المحتل الفرنسي مجزرة، كانت واحدة من أبشع المجازر والجرائم التي قام بها ضد سكان المنطقة، حيث حيث نجد أن الشاعر قد استدعى (تيت) المكان ليوظفه بعمقه التاريخي ومكانته الرمزية عند سكان المنطقة ويربطه بالأمل والحلم الذي يتطلع إليه الشاعر باعتباره جزء من سكان المنطقة، فيقول في ذلك:

تنـاشده تـــيت البكارة انها تغسلها صبـــحا دمـاء بلا فدى
فيورق فيك الحلم رغم جراحه يصيح بوجه الدهر أنى توسدا [15]

وهناك الكثير من رموز التراث الاجتماعي والعادات الاجتماعية، الذي قام الشاعر باستدعائه وتوظيفه في قصائد ديوانه، مثل نصب الخيام الذي يتعلق بالمجتمع الهقاري، وكذلك الأعمال اليدوية التي يقمن بها الجدات كبار السن كالنسيج وغيره، ومما ذكره في ذلك قوله :

فنوديت همسا رن من جانب الرؤى هنا تقف الجدات ينسجن موسما
نصبن خيـــام القلب بدءا، مددنه قرى واشتعلن الآن نـــورا فألهما[16]

كما نجد أيضا أن من أنواع التراث الذي قام الشاعر باستحضاره واستدعائه وتوظيفه في قصائد ديوانه بشكل كبير، هو : (الشخصيات التراثية)، وهي ذلك النوع من الشخصيات التي أصبحت تمثل ما يمكن أن نسميه" نموذجا رمزيا تراثيا" [17]. حيث نجد أن الشاعر قد استدعى واستحضر العديد من تلك الشخصيات التراثية التي لها مكانة كبيرة في مجتمع الإيموهاغ، ووظفها في شعره، مستغلا رمزيتها ومكانتها في التراث الهقاري ليعطي لقصائده بعدا رمزيا فيه نوع من الاعتزاز بالماضي ورموزه في المجتمع الهقاري .

فعندما نقرأ بعض القصائد في الديوان نجد أن الشاعر قد تناول أغلب الشخصيات المشهورة في الهقار التي لها تاريخ عريق ورمزية عند سكان المنطقة، فنجده، يوظف ويستدعى شخصية (الأمنوكال موسى اق مستان)، ال الذي يمثل أحد أهم الشخصيات في مجتمع الطوارق وهو الذي كان يمثل السلطة التقليدية عندهم، ولا تخضع قراراته للنقاش"[18]، و الذي استدعى اسمه وصفته ووظفه في ديوانه حيث جعله عنوانا لقصيدة كاملة، وهي التي بعنوان : (الأمنوكال موسى أق مستان الملك المغيب)، والتي كان موضوعها يدور حوله وحول مآثره. وكذلك شخصية (تين هنان)، التي تعتبر شخصية بارزة في الوسط الإيموهاغي، وتعتبر رمزا للقوة والشجاعة والذكاء والجمال، والتي استدعاها الشاعر كذلك وعنون بها قصيدته التي تحت عنوان:(تين هنان وخيام البدء)، وهو عنوان ربط فيه الشاعر الملكة بأسطورة البدء، وهي أسطورة قدوم الملكة تين هنان للهقار، هذه القصيدة التي جعلها كذلك موضوعا للمآثر والذكريات المتعلقة بهذه الملكة وبالمجتمع الايموهاغي. كذلك نجد الشخصية التراثية (الأميرة داسين)، وهي كما يطلق عليها : "أميرة الوتر، أشهر شخصية نسائية وكما تسمى شاعرة الحب وملكة القلوب مثلما كتب عنها شارل دو فوكو، من أشهر شواعر الطوارق نجد

(داسين ولت إيها) المولودة عام 1873 م بالاهقار، من نسب رفيع، هي اخت الامنوكال عرفت بسداد رأيها وحكمتها، كما انها اشتهرت بالشعر والموسيقى والعزف على آلة الامزاد، توفيت عام 1933 " .[19]

وقد تم استدعاء وتوظيف هذه الشخصيات التراثية، وشخصيات تراثية رمزية أخرى في كثير من القصائد الموجودة في ديوان الشاعر مبروك بالنوي، وقد جاء استدعاء وتوظيف هذه الشخصيات اما بأسمائهم مباشرة، أو عن طريق صفاتهم أو آثارهم، ومن أمثلة توظيف (تين هنان) في شعر الشاعر،قوله في أحد الآبيات :

أجل تـين هنـان الشوق تلك خيـامنا بجـــرح الامـازيغ إرتجت تـكرما

....

قفي تـن هنـــان الشـوق عندك عللي لـماذا اهـــقار الشـــوق تـلثما [20]

وأما شخصية (الأمنوكال)، فنجدها حاضرة في شعره، وقد استدعاها في عدة قصائد، ومنها قوله في أحد الأبيات التي استدعى فيه الشاعر (شخصية الأمنوكال)، حيث يقول :

اتيتك امنوكـــال لـــولا مخاوفي أقمت حداد الأرض بـعدها مشهدا

لتقرأك الصحراء متن حكـــاية تحرجت الأبعـــاد منها تـــوددا [21]

فنجد أن الشاعر قد استدعى شخصية (الأمنوكال)، باعتباره رمزا للسلطة ليشكو من خلاله ما يحس به من شعور بالغربة.

أما شخصية (داسين) فنجد أن الشاعر قد وظفها كذلك في أحد ابيات إحدى قصائده، حيث يقول :

بإمزاد داســـين الاميـرة صادحا إذا طمـس التاريـخ عـزا وسؤددا [22]

كما نجد أن الشاعر قد وظف في قصائد ديوانه شخصيات تراثية أخرى، تعد من الشخصيات الرمزية في المجتمع الايموهاغي مثل شخصية: (غوما)، و(إلياس)،و(أمود)،و(أوتسي)،و(بلو)، حيث يقول في قصيدته :(الامنوكال موسى اق مستان الملك المغيب) :

حتى انتهى غـــــوما لدى الترك عهده تقلد إليـــــــاس الحكاية مزبدا

ويبسط أمـــــود الرؤى بعد حلمـــــه فيأنف أن يبقى بـــأرض مقـيدا

ويغبط أوتـــــــسي نبض كل حكاية لديك كم بـــــــلو لنضحك اوفدا [23]

فنجد أن جميع الشخصيات التراثية التي استدعاها ووظفها الشاعر كلها تحمل بعد تاريخي ودلالة رمزية، فـ (غوما إبراهيم) ؛ شخصية تاريخية وقائد فذ، و(أحمد بلو)، هو قائد إقليم عين صالح في حقبة تاريخية ماضية، وصديق الامنوكال موسى أق أمستان، والآخرون كلهم رموز وقادة وزعماء في مجتمع الايموهاغ.

2ـ تجليات استدعاء وتوظيف التراث غير المادي

لم يقف الشاعر مبروك بالنوي باستدعاء وتوظيف الرموز التراثية المادية فحسب، بل قام أيضا باستدعاء بعض الرموز التراثية التي تتعلق بالتراث الهقاري اللامادية، ووظفها في أشعاره، فعندما نطلع على

مجموع الرموز التراثية التي تم استدعاؤها في الديوان من طرف الشاعر مبروك بالنوي وتوظيفها، نجدها مقسمة الى قسمين، قسم يتعلق بالرموز المادية بأنواعها، وقسم يتعلق بالرموز التراثية غير المادية ,

فمن جملة الرموز التراثية غير المادية التي استدعاها الشاعر في ديوانه ووظفها في قصائده، نجد (لغة التيفيناغ)، وهي لغة الطوارق التي تم نقشها على الصخور القديمة في الهقار، وتعد التيفيناغ من أقدم النقوش المكتوبة على الصخور بمنطقة الهقار، حيث يعود تاريخها الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، "والتيفيناغ جمع المؤنث (tafing)، وتعني على أرجح الأقوال: الخط أو العلامة أي الابجدية (أبجد) وهو من أعظم الإنجازات التي توصلت اليها هذه اللغة في وقت لم تكن الكتابة قائمة، وهي الكتابة الأصلية الأمازيغية" [24] وقد وظفها الشاعر في أحد الأبيات حيث يقول :

أخط بتيـــــــفيناغ رؤياي فوقها بقــطع من اللـيل القديم تأقلما [25]

ومن خلال هذا البيت نرى أن الشاعر قد استدعى، لغة التيفيناغ ليعبر بها عن تجربته الذاتية الشعورية، ويحاول أن يرسل من خلالها حجم الحنين الذي يشعر به الى ذلك الماضي الجميل الذي يحن إليه، باعتبار أن كتابة أحاسيسه بتلك اللغة التي لها بعدا حضاري يكون أفضل. فالشاعر هنا استحضر اللغة القديمة للهقار وهي التيفيناغ، ووظفها ليطعم شعره بها، برمز من رموز الهوية ولإعطاء القصيدة بعدا ثقافيا يزيدها قيمة من الناحية الفنية، وكذلك نجده في نفس القصيدة يستدعي،بعض العادات والتقاليد التراثية الأهقارية، ومنها الوشم الذي يحمل بعدا جماليا عند الأمازيغ، فهم من الأوئل الذين استعملوه، وهو تقليد يحمل العديد من الدلالات في التراث الأمازيغي، حيث يدل في ثقافتهم على الخصوبة والنسل كما يدل على الجمال والنبل، وأيضا يحمل في ثقافتهم أبعادا ودلالات دينية وميثولوجية، حيث يعد في بعده الديني من الوسائل الطاردة للأرواح الشريرة. وقد وظفه الشاعر في أحد الابيات الشعرية في قصيدة من قصائد الديوان حيث يقول :

وتستقرئين الوشـم بعض خطوطـه حظوظ تندى الحرف منك توشما [26]

وفي موضع آخر نجده يستدعي ويوظف (آلة الإمـزاد)، وهي آلة وترية أشبه بالربابة أو الكمان، يتم صنعها على شكل قدح بواسطة الخشب، وهي تعد واحدة من الآلات الموسيقية التراثية ذات الأهمية البالغة في الثقافة التارقية، كما أن لها أهمية عالمية حيث صنفت ضمن قائمة التراث اللامادي من طرف منظمة اليونيسكو سنة 2013م، [27]، وقد استغل الشاعر رمزيتها التاريخية والاجتماعية والثقافية والعرفية في ثقافة الإيموهاغ ليستدعيها ويوظفها في شعره من أجل رسم دلالات وإيحاءات ثقافية وحضارية تعطي لشعره بصمة الانتماء، حيث نجده يقول موظفا لها في أحد الأبيات :

ففي شدوك الحاني تراتـيل نسوة تحبّن للإمـــــزاد لحـــنا تيتما [28]

ومن هنا يمكننا القول أن استدعاء الشاعر للرموز التراثية، بكل أنواعها سواء المادية وغير المادية في قصائد ديوانه ؛(من أغاني الطاسيلي)، كان متجليا بشكل واضح وظاهر للعيان .

رابعا: أثر استدعاء وتوظيف التراث في التجربة الشعرية للشاعر:

لقد كان للتراث المادي الذي هو عبارة عن تلك الرموز المادية سواء كانت أماكن تراثية، أم أدوات أم شخصيات، وكذلك التراث اللامادي الذي يتمثل في ذلك التراث الثقافي، وتتشكل فيه" كافة المظاهر الغير مادية وغير الملموسة لمختلف تشكلات وتنويعات التراث الإنساني، باعتبارها الجزء الثقافي الممارس الحي والمتنقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية"[29] . أثر كبير في تجربة الشاعر مبروك بالنوي الإبداعية، وقد تجلى لنا ذلك في الكثير من قصائده الشعرية، فنجد أن استدعائه للتراث المادي واللامادي وتوظيفه في قصائد ديوانه (من أغاني الطاسيلي)، قد أضاف الكثير لأشعاره من الناحية الفنية والإبداعية، وكذلك جعل الشاعر يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، بحيث أننا نجد الشاعر يتحدث في الحاضر لكنه يستدعي رموز الماضي البعيد فيوظفها لتشكل ذلك الجسر الثقافي والحضاري بين ثقافة الماضي والحاضر .

وكذلك نجد ان ذلك التوظيف والاستدعاء مكن الشاعر من اكساب قصائده نوعا من الانتماء لماضيه الحضاري والثقافي والاجتماعي، بحيث أن من يقرأ هذه الاشعار يلحظ مباشرة أن الشاعر ينتمي لثقافة محددة المعالم ولها مميزاتها التي تتميز بها . فتجربة الشاعر الشعرية والشعورية التي بناها الشاعر على استحضار واستدعاء الأماكن التاريخية التراثية، وكذلك الشخصيات والأعلام التراثية، وأيضا بعض الرموز المعنوية من منطقة الاهقار وتوظيفها في شعره، ساهم كثيرا في تدعيم قصائده وفي تشكيلها وإعطائها نوعا من التميز والجودة الفنية .

الخـاتمة:

عندما عالجنا قضية استدعاء وتوظيف التراث الهقاري على وجه الخصوص في ديوان الشاعر مبروك بالنوي، ودرسنا تأثير ذلك الاستدعاء والتوظيف في اشعاره التي توجد في قصائد ذلك الديوان، سواء من الناحية الفنية أو الناحية الإبداعية، أو غيرها من النواحي التي ترتبط بأشعاره في الديوان، وقد توصلنا الى العديد من النتائج المهمة والت تتمثل فيما يلي :

ـ أن استدعاء الشاعر للتراث الاهقاري على وجه الخصوص وتوظيفه في أشعار قصائد ديوانه، كان بهدف لفت نظرنا لتاريخ المنطقة الأهقارية وبما تحمل من معالم تاريخية وحضارية مهمة يجب أن نفتخر بها وأن نحييها في ثقافتنا الحاضرة ,

ـ لقد اختار الشاعر مبروك بالنوي تشكيل أغلب قصائد ديوانه، من رموز رموز أو شخصيات تراثية، كما هو الأمر في كل من، قصيدة : (تين هنان وخيام البدء)، وقصيدة : (الامنوكال موسى اق مستان الملك المغيب)، وقصيدة (داسين وامزاد الجرح) ، وقصيدة (نبؤءة أطلسي من غيابات الطاسيلي)، وقصيدة: (من أغاني الطاسيلي)، وقصيدة (بوح على امزاد داسين)، وهو ما يساهم بطريقة غير مباشرة في حفظ التراث الهقاري وبقائه حيا دائما .

ـ أن الشاعر يمتلك ثقافة تاريخية أثرية كبيرة ساعدته على استدعاء الرموز التاريخية سواء من الأماكن التراثية، أو الشخصيات التاريخية المعروفة في ثقافة الإيموهاغ . أو غيرها وتوظيفها بشكل جيد ومتناسب في قصائد الديوان.

ـ لقد وفق الشاعر مبروك بالنوي إلى حد كبير في توظيف الرموز التراثية في قصائد ديوانه الشعري، عندما وزعها بين استدعاء رموز التراث المادي ورموز التراث اللامادي .

ـ لقد ساهم استدعاء وتوظيف الرمور التراثية بشتى أنواعها في قصائد ديوان مبروك بالنوي مساهمة فعالة في نجاح تلك القصائد وإعطائها نكهة تراثية مهمة، قد ساهمت في نجاح تجربته الشعرية.

هوامش

1 ـ صلاح عبد الصبور،(1972)، ديوان ؛ الناس في بلادي، بيروت، لبنان، دار العودة، ص 21

2 ـ انظر ؛ أحمد شوقي،(2012)، ديوان الشوقيات، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ص19

3 ـ انظر ؛ نفس المصدر، ص 27ـ 42

4 ـ نفس المصدر، ص 27، 30

5 ـ بدر شاكر السياب، مؤسسة موسوعة الديوان، الخبر، المملكة العربية السعودية، موقع :
https://www.aldiwan.net/poem99534.html

6 ـ أنظر؛ مبروك بالنوي،(2017) من أغاني الطاسيلي، ط.1، الجزائر، دار الكتاب العربي، ص الغلاف.

7 ـ انظر؛ المصدر نفسه، ص ن

8 ـ مبروك بالنوي، مصدر سابق،ص 06.

9ـ المصدر نفسه، ص 11.

10 ـ المصدر نفسه، ص 12

11 ـ قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة،دراسة تاريخية ـ ثقافية واجتماعية،ص20

12 ـ عبد القادر بويه،(2015)، تيديكلت وثائق ومخطوطات، الجزائر، قسنطينة، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، ص23.

13 ـ سعيدان التومي،(2005)، سكان تيديلكت القدماء والاتكال على النفس، الجزائر، ص 18.

14 ـ مبروك بالنوي، مصدرسابق، ص 36

15ـ نفس المصدر، ص 34.

16 ـ نفس المصدر، ص 07.

17 ـ علي عشيري زايد،(1980)،توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر، فصول، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، العدد 1، ص 204.

18 ـ أنظر: محمد مبارك كديدة، (2013)، الصحراء الجزائرية، بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، 1960 ـ 1962، الجزائر، دار المعرفة، ص 70 ـ 71

19 ـ رمضان حينوني(2019)، أوراق ثقافية من أقصى الجنوب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص.80
20 ـ مبروك بالنوي، المصدر السابق، ص 08، 09
21 ـ نفس المصدر، ص33.
22 ـ نفس المصدر، ص38.
23ـ نفس المصدر، ص 36 ـ
24 ـ أمينة بن أباجي،(2009)، الكتابة الأمازيغية التيفيناغ، مجلة حوليات التراث، العدد 09، ص 44.
25 ـ مبروك بالنوي: المصدر السابق، ص07
26 ـ نفس المصدر، ص08
27 ـ عبد الكريم قادري: موسيقى الامزاد شمس الطوارق التي لا تغيب، https://www.aranthropos.com
28 ـ مبروك بالنوي، مصدر سابق، ص 07
29 ـ علا طلال: التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، سلسلة أوراق دمشق، العدد 4، ص 02

قائمة المصادر والمراجع

أولا : الكتب

1. أحمد شوقي،(2012)، ديوان الشوقيات، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي
2. رمضان حينوني(2019)، أوراق ثقافية من أقصى الجنوب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية
3. سعيدان التومي،(2005)، سكان تيديلكت القدماء والاتكال على النفس، الجزائر
4. صلاح عبد الصبور،(1972)، ديوان ؛ الناس في بلادي، بيروت، لبنان، دار العودة
5. عبد القادر بويه،(2015)، تيديكلت وثائق ومخطوطات، الجزائر، قسنطينة، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف
6. مبارك كديدة، (2013)، الصحراء الجزائرية، بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، 1960 ـ 1962، الجزائر، دار المعرفة
7. مبروك بالنوي،(2017) من أغاني الطاسيلي، ط.1، الجزائر، دار الكتاب العربي، ص الغلاف.
8. قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة،دراسة تاريخية ـ ثقافية واجتماعية

ثانيا : المجلات والمواقع الالكترونية

1. أمينة بن أباجي،(2009)، الكتابة الأمازيغية التيفيناغ، مجلة حوليات التراث، العدد 09، ص 43 ـ 49.
2. ـ بدر شاكر السياب، مؤسسة موسوعة الديوان، الخبر، المملكة العربية السعودية، موقع : https://www.aldiwan.net/poem99534.html
3. عبد الكريم قادري: موسيقى الامزاد شمس الطوارق التي لا تغيب، https://www.aranthropos.com
4. ـ علا طلال: التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، سلسلة أوراق دمشق، العدد 4، ص 1ـ 36
5. علي عشيري زايد،(1980)،توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر، فصول، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، العدد 1، ص203 ـ 219.